

لتكن قلوبنا روحانية رمضان



شهر رمضان هو شهر التقوى والتقرب إلى الله عز وجل بالإقبال على الطاعات وهجر المعاصي والذنوب، على أمل التعرض لنفحات الكرم الإلهي والرحمة الربانية التي يفيض بها الله تعالى على عباده في هذا الشهر الفضيل. يحتاج المسلم إلى أن يذكر نفسه وغيره بضرورة استثمار الأوقات المباركة ومواسم الرحمة والمغفرة في العمل للأخرة، وبضرورة الاستفادة من الوقت ونفحات هذا الشهر وآثارها المباركة العاجلة والآجلة. لذا، فإنّه من المهمّ بمكان أن ينتفض المسلم انتفاضة روحانية رمضان مع انطلاق هذا الشهر الكريم، ليزيل غبار المعاصي المتراكمة، والوهن الذي أوهى القلوب والأفكار، فيعيد نور الفطرة إلى القلب المظلم، ويغذي الروح بمياه النقاء، ويكسو الجوارح بلباس التقوى، ويعطر كيانه بعبير التوبة، فيسلم من الضلالات، ويستل عن مجاميع الهوى منشوقاً جوامع الهدى، ويتردد عن نفسه تلك الأدران التي ربما لحقته قبل إشرافه شمس رمضان مستفيداً من هذا الشهر وبركته، سالكاً هدى النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)، مقتدياً بكمال علوم همته (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذاته وأمته، ولاسيما في مثل هذه الأوقات الفاضلة والمواسم الفاصلة في حياة المسلم. إنّ الغاية العظمى التي ينال بآثارها العبد القرب من ربه، ولاسيما بعد ركوب موج بحر رمضان، وتحمل آثاره، والتعلم في ظلال مدرسته، وسعيه الحثيث إلى تحقيقها والوصول إلى معرفتها وقطف ثمرتها وهي التقوى. فعلياً أن نجدد العزم على تحقيق هذه النتيجة، ونجتهد في تحصيل هذه النعمة. أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى، فإنّ منها تنشعب الخيرات وأسباب القربة والتقرب، وأصل التقوى هو الإخلاص، وحقيقته التخلي عن كلّ شيء إلاّ ممن إليه تقواك، لا يصل العبد إلى شيء من التقوى حتى يكتمل زهده وورعه، والتقوى مقرونة بالراحة، أي من حيث الثمرة، قال تعالى في: (... وَمَنْ يَتَذَقَّرْ لِلَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا) (الطلاق/ 2). لذا فعلياً أن نحصر على الوصول إلى صحة التقوى، التي هي من غايات الصوم، بترك سائر الذنوب، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران/ 102). لا معين إلاّ الله، ولا دليل إلاّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا زاد إلاّ التقوى، ولا عمل إلاّ الصبر، من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها. ومعلوم أن الله تعالى فرض الصوم على الأمة الخاتمة، كما فرضه على من قبلها من الأمم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/ 183). ولكل أمة شرعتها فيه، ولا شك في أن معاني التطهير حاضرة في سائر تشريعه جلّ جلاله للصوم،

وأَنَّهُ من أهم وسائل التنزيه الظاهرة التي تقود إلى تنزيهه الباطن مما قد تقع فيه الإنسانية من التعلق بالدُّنيا، والانغماس في ملاذها، إضافة إلى المعاني التي يحملها كالتجرد ١ تعالى، والامتثال لأمره سبحانه، كما أن فيه من معاني ترويض النفس والخلق لتحمل سلوك طريق الهداية والصبر فيه، وهو من السُّبل الظاهرة الباهرة في تحقيق القرب من الله عز وجل ٢. ولقد جُعِلَ أجر الصوم من منحه ٣ تعالى، ولا دخل لأحد من الخلائق في قبوله أو رفضه أو الإثابة عليه ومضاعفته أو رده على صاحبه، أو إنزال العقوبة على العبد بناء على نية أدائه، لاسيما إذا كانت على غير الوجه المطلوب. فما أجمل أن نلتقي في رمضان بالصدق والإخلاص والوفاء والمحبة فبالحب نعيش ونسعد من دون لوم أو تجريح، فنطوي آلامنا، ونفتح قلوبنا للمحبة، ونتمدّي الخير لنا ولكل الناس، وبقدر فرحتنا بإستقباله بقدر ما نرفع أيدينا بالدُّعاء، راجين من المولى أن يعيده علينا ونحن أسعد حالا ٤ وأكثر إيمانا ٥ وحباً ٦. فهو شهر وحيد في فضله، عظيم في أجره، فالملائكة تستغفر للمؤمنين حتى يفطروا، فعلينا أن نتسامح مع من أسأنا لهم، ونصل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عن ظلمنا، ونراجع كشف حسابنا، وما حصدناه طوال حياتنا السابقة.